

١٤

أبي سنان

زَيْنَبُ بِنْتُ حُشْرِ

الجزء الثاني

الكرمية الجَوَادَة

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد

بريشة : أ. عبد الشافي سيد

إشراف : أ. حمدي مصطفى

دار النشر

تَزَوَّجَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بِأَمْرِ مِنَ
السَّمَاءِ ، وَكَانَ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُظْهِرَهَا
لِلنَّاسِ .

فَقَدْ كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَّبِعُوا
الْأَبْنَاءَ وَيَنْسَبُوهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْأَبْنَاءُ
بِالتَّبْنِي يَحْمِلُونَ أَسْمَاءَ أَصْحَابِهِمْ ، وَيَرِثُونَهُمْ بَعْدَ
مَوْتِهِمْ ، وَكَانَ هَذَا التَّبْنِي يَتَسَبَّبُ فِي مَشَاكِلِ
اجْتِمَاعِيَّةٍ كَثِيرَةٍ ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَضَعَ حَدًّا لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ ،
فَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِالزَّوْاجِ مِنْ امْرَأَةٍ مَتَّبِنَاهُ زَيْدُ بْنُ
حَارِثَةَ ، وَذَلِكَ أَبْلَغُ فِي تَعْلِيمِ الْمُسْلِمِينَ أَحْكَامَ الدِّينِ
الْجَدِيدَةِ ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ قَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ
بِكَامِلِهَا .

وَقَدْ كَافَأَ اللَّهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ هُوَ الصَّحَابِيُّ الْوَحِيدُ الَّذِي
وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، يَتْلُوهُ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ

وَقَتِ وَأَوَانِ .. وَقَدْ وَرَدَ اسْمُهُ مُقْتَرِنًا بِإِنْعَامِ اللَّهِ
(تَعَالَى) عَلَيْهِ ، حَيْثُ أَخْبَرَ اللَّهُ (تَعَالَى) فِي هَذِهِ الْآيَةِ
أَنَّهُ قَدْ أَنْعَمَ عَلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَرَضِيَ عَنْهُ ، وَهَذِهِ بَشْرَى
بُشْرَ بِهَا زَيْدٌ فِي حَيَاتِهِ مِنَ اللَّهِ (تَعَالَى) .



قال (تعالى) :

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ..﴾

[سورة الأحزاب : ٣٧]

أما زينب بنت جحش (رضي الله عنها) ، فبعد أن امتثلت لأمر الله ورسوله ، وتزوجت من زيد بن حارثة ، برغم الفوارق بينهما ، فقد كافأها الله (تعالى) بالزواج من سيد البشرية محمد ﷺ ، وأنزل في شأنها قرآنا يتلى في كل زمان ..

قال (تعالى) :

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا *﴾

[سورة الأحزاب : ٣٧]

ولذلك سجدت زينب بنت جحش شاكرة لله ، حين بشرت بالزواج من رسول الله ﷺ بأمر صريح من الله

(تَعَالَى) مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ .
وَكَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ تَقُولُ لِلرَّسُولِ ﷺ فِي
فَخْرٍ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا كَأَحَدِي نِسَائِكَ ..
لَيْسَتْ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ إِلَّا زَوْجَهَا أَبُوهَا أَوْ أَخُوهَا



أَوْ أَهْلَهَا .. أَمَا أَنَا فَقَدْ زَوَّجَكَ اللَّهُ مِنِّي مِنْ فَوْقِ سَبْعِ
سَمَاوَاتٍ .

وَبَدَأَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ حَيَاتَهَا الْجَدِيدَةَ فِي بَيْتِ
النَّبِيِّ ﷺ ، وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي تَزَوَّجَتْ فِيهَا مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنْزَلَ اللَّهُ (تَعَالَى) حُكْمَ الْحِجَابِ ،
حَيْثُ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرَوْنَ زَوَاجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ
وَيَتَحَدَّثُونَ إِلَيْهِنَّ ، إِلَى أَنْ جَاءَتْ هَذِهِ الْمُنَاسِبَةُ الَّتِي
أَنْزَلَ اللَّهُ (تَعَالَى) فِيهَا أَمْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِالْأَلَّا يَنْظُرَ أَحَدٌ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى زَوْجَةٍ مِنْ زَوَاجَاتِ النَّبِيِّ وَالْأَلَّا يُكَلِّمَهَا
إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ .

وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ ، أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ ، دَعَا
الْمُسْلِمِينَ إِلَى وَلِيمَةٍ أَعَدَّهَا بِمُنَاسِبَةِ زَوَاجِهِ مِنْ زَيْنَبِ
بِنْتُ جَحْشٍ ، وَتَوَافَدَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ تَعْبِيرًا
عَنْ سَعَادَتِهِمْ بِزَوَاجِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَبَعْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنَ
الطَّعَامِ ، انْصَرَفَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَبَقِيَ آخَرُونَ

حَتَّى وَقْتُ مُتَأَخِّرٍ مِنَ اللَّيْلِ ، يَتَحَدَّثُونَ مَعَ
الرَّسُولِ ﷺ ،

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَشْعُرُ بِالْإِرْهَاقِ وَالتَّعَبِ ، وَانْتَظَرَ
أَنْ يَنْصَرِفَ هَؤُلَاءِ النَّاسُ ، حَتَّى يَخْلُدَ إِلَى الرَّاحَةِ ،
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا ، وَأَرَادَ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَشْعُرَهُمْ
بِذَلِكَ ، فَأَخَذَ يَدْخُلُ وَيُخْرِجُ ، وَظَهَرَ عَلَى وَجْهِهِ



وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا
أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾

[سورة الأحزاب : ٥٣]

وَأَسْتَبْشِرَ الْمُسْلِمُونَ خَيْرًا بِنُزُولِ آيَةِ الْحِجَابِ فِي
هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي تَزُوجُ فِيهَا النَّبِيَّ ﷺ مِنْ زَيْنَبِ
بِنْتِ جَحْشٍ .



فَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِبَصِيرَتِهِ الشَّاقِبَةِ ، يَرْجُو أَنْ
يَفْرِضَ اللَّهُ (تَعَالَى) الْحِجَابَ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ،
فَكَانَ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبِرُّ وَالْفَاجِرُ ، فَلَوْ
أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ !

لَكِنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ لَا يَفْرِضُ شَيْئًا إِلَّا إِذَا أَمَرَهُ اللَّهُ
(تَعَالَى) بِذَلِكَ ، فَانْتَظَرَ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ آيَةَ
الْحِجَابِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ ..

وَلَا شَكَّ أَنَّ لَنَا فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُسْوَةً حَسَنَةً ، حَيْثُ
إِنَّهُ يُجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ وَالْفَتَاةِ أَنْ يَحْتَشِمْنَ فِي لِبْسِهِنَّ
وَكَلَامِهِنَّ ، فَذَلِكَ أَطَهَرَ لِقُلُوبِهِنَّ .

وَالَّذِي يَتَأَمَّلُ حَالَ الْمُجْتَمَعِ الْيَوْمَ ، وَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ حَالُ
الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ مِنْ ابْتِذَالٍ فِي الْمَلْبَسِ وَالْكَلَامِ ، يُدْرِكُ
الْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ مِنْ فَرَضِ الْحِجَابِ عَلَى الْمَرْأَةِ ؛
وَالْحِجَابِ لَيْسَ قَيْدًا عَلَى الْمَرْأَةِ وَحُرِّيَّتِهَا ، وَلَكِنَّهَا
تَسْتَطِيعُ أَنْ تُمَارِسَ حَيَاتَهَا بِشَكْلِ طَبِيعِي وَهِيَ مُرْتَدِيَّةُ
الْحِجَابِ ، وَلَيْسَ الْحِجَابُ حِجَابَ الظَّاهِرِ فَقَطْ ، وَلَكِنَّهُ

حِجَابُ الْبَاطِنِ أَيْضًا ، حَيْثُ يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَكُونَ
مُحْتَشِمَةً فِي جَوْهَرِهَا ، كَمَا هِيَ فِي مَظْهَرِهَا ، وَهَذَا هُوَ
مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ (تَعَالَى) لَنَا ، حَيْثُ إِنَّ الْمُجْتَمَعَ يَصِلُ بِذَلِكَ
إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ .

وَأَشْهُرَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ بِالنَّفَقَةِ وَالتَّصَدُّقِ عَلَى
الْفُقَرَاءِ ، وَكَانَتْ مَاهِرَةً فِي صِنَاعَةِ الْمَلَابِيسِ ، فَكَانَتْ



تَتَصَدَّقُ بِشَمَنِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ، وَذَاتَ يَوْمٍ
سَأَلَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ :

- أَيْنَا أَسْرَعُ لِحَاقًا بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

فَأَجَابَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ :

- أَطْوَلُكُمْ يَدًا .

وَرَأَتْ كُلُّ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ تَقْيِسُ يَدَهَا ، وَلَمْ
يَفْهَمْنَ مَا كَانَ يَرْمِي إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ إِلَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ ،
حَيْثُ كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ أَسْرَعَهُنَّ لِحَاقًا بِالرَّسُولِ ﷺ ،
وَعِنْدَئِذٍ قَالَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ :

- لَقَدْ كَانَ ﷺ يَقْصِدُ بِطُولِ الْيَدِ : الْكَرَمَ وَالْجُودَ
وَالْتَصَدَّقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .

وَبَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ ، كَانَ الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِهِ يُعْطُونَ
لِلْمُسْلِمِينَ رَوَاتِبَ سَنَوِيَّةً لِكَيْ يَنْفِقُوا مِنْهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَأَبْنَائِهِمْ ، وَكَانَ رَاتِبُ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ اثْنِي عَشَرَ
أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَكَانَتْ تَقُولُ :

- اللَّهُمَّ لَا يُدْرِكُنِي هَذَا الْمَالُ مِنْ قَابِلٍ فَإِنَّهُ فِتْنَةٌ .

ثُمَّ تُوزَعُهُ عَلَى أَقَارِبِهَا وَعَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ،
وَعِنْدَمَا عَلِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِذَلِكَ ، ذَهَبَ إِلَيْهَا وَأَرْسَلَ
بِالسَّلَامِ وَقَالَ لَهَا :

- يَا أُمَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ وَزَعْتَ مَالَكَ عَلَى أَهْلِ
رَحِمِكَ وَفِي أَهْلِ الْحَاجَةِ .

فَقَالَتْ :

- لَا يَبْقَى لِلْمَرْءِ بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَّا دِرْهَمٌ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

مثلا الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله
كمثل حبة أنثيت سبع سنابل
في كل سنبل مائة حبة
والله يضاعف لمن يشاء

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ :

- هَذِهِ أَلْفُ دِرْهَمٍ ، فَاسْتَبْقِهَا لِنَفْسِكَ وَحَاجَتِكَ .

فَشَكَرَتْهُ زَيْنَبُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَخَذَتْ مِنْهُ الْمَالَ ، ثُمَّ لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْهَا النَّهَارُ إِلَّا وَقَدْ تَصَدَّقَتْ بِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَلَمْ تَبْقِ لِنَفْسِهَا دِرْهَمًا وَاحِدًا . .

وَكَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَثِيرَةً الْعِبَادَةِ لِلَّهِ ، تُدَاوِمُ عَلَى الذِّكْرِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَقَدْ شَهِدَ لَهَا بِذَلِكَ الرَّسُولُ ﷺ فَذَاتَ يَوْمٍ ، وَبَيْنَمَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُقَسِّمُ الْقَنَائِمَ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، إِذْ تَكَلَّمَتْ زَيْنَبُ بِكَلَامٍ أَغْضَبَ الرَّسُولَ ﷺ ، فَاَنْتَهَرَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ لَهُ ﷺ :

- خَلِّ عَنْهَا يَا عُمَرُ ، فَإِنَّهَا أَوَاهَةٌ !

وَضَلَّتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ صَوَامَةَ قَوَامَةٍ ، تَخْشَى اللَّهَ (تَعَالَى) فِي كُلِّ أُمُورِهَا ، وَتَتَصَدَّقُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ، حَتَّى صَعِدَتْ رُوحُهَا إِلَى بَارِئِهَا فِي الْعَامِ الْعِشْرِينَ لِلْهِجْرَةِ .

وَحِينَ حَضَرَتْهَا الْوَفَاةُ ، لَمْ تَنْسَ التَّصَدُّقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ ، فِي
تِلْكَ اللَّحْظَاتِ الصَّعْبَةِ ، الَّتِي يَنْسَى الْإِنْسَانُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ ،
فَقَدْ قَالَتْ لِمَنْ حَوْلَهَا :

— إِنِّي قَدْ أَعْدَدْتُ كَفَنِي ، وَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، سَيَبْعَثُ إِلَيَّ
بِكَفْنٍ ، فَتَصَدَّقُوا بِأَحَدِهِمَا ، وَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَصَدَّقُوا بِإِزَارِي
فَاعْمَلُوا .

وَصَلَّى عَلَيْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَوَدَّعَهَا



المُسْلِمُونَ إِلَى مَثَوَاهَا الْأَخِيرِ بِالْبَقِيْعِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ،
وَقَالَتْ عَنْهَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

- ذَهَبَتْ حَمِيدَةً مُتَعَبِدَةً ، مَفْرُوعَ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ .

وَقَالَتْ عَنْهَا أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

- كَانَتْ صَالِحَةً قَوَّامَةً ، تَعْمَلُ بِيَدَيْهَا وَتَتَصَدَّقُ بِذَلِكَ كُلَّهُ .

رَحِمَ اللَّهُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنَفَعْنَا بِسِيرَتِهَا
الْعَطْرَةَ ، حَيْثُ عَاشَتْ فِي كَنْفِ النَّبِيِّ ﷺ صَوَّامَةً قَوَّامَةً مُطِيعَةً
لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، مُحِبَّةً لِلْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ .. وَلَعَلَّ أَفْضَلَ
مَا نُوَدِّعُهَا بِهِ مَا قَالَتْهُ عَنْهَا السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

- وَلَمْ أَرِ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ ، وَاتَّقَى لِلَّهِ
وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً ، وَأَشَدَّ إِخْلَاصًا
وَتَفَانِيًا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ..

رَحِمَهَا اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً ، وَنَفَعَ نِسَاءَنَا وَبَنَاتَنَا بِسِيرَتِهَا
الْعَطْرَةَ الزُّكِّيَّةَ ، فَنِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ هُنَّ الْمَثَلُ الْأَعْلَى لِكُلِّ
النِّسَاءِ ، وَحَيَاتُهُنَّ مَلِيَّةٌ بِالْعِظَةِ وَالْإِعْتِبَارِ .. فَهَلْ مِنْ مُدَكَّرٍ ؟ !

(يتبع)

الكتاب القادم
جويرية بنت الحارث

رقم الإيجاز : ٩٠٩٤٨ / ٢ -

الترقيم الدولي : X - ٦٨٨ - ٢٦٦ - ٩٧٧